المؤتمر الدولي الثالث

الإبداع والإبتكار والتنمية في العمارة والتراث والفنون والآداب
(رؤى مستقبلية في حضارات وثقافات الوطن العربي ودول حوض البحر الأبيض المتوسط)
مؤسسة مصر المستقبل للتراث والتنمية والابتكار

تحت رعاية أكاديمية الفنون بالهرم

المحور الأول (العمارة) : العمارة الداخلية بين الموروث والتقنيات الحديثة ومعايير الجودة

عنوان البحث : الموروث الثقافي والاجتماعي وأثره علي التصميم الداخلي والعمارة في مصر

Cultural and Social heritage and its impact on interior design and architecture in Egypt

مقدم من : م.د / داليا فؤاد محمود عطية

مدرس بقسم الديكور والعمارة الداخلية

المعهد العالي للفنون التطبيقية – السادس من اكتوبر

Daliafouad48@yahoo.com

المقدمة

ان الطابع المعمارى الداخلى والخارجى فى مصر فى مختلف العصور هو إنعكاسا للحضارات المتعاقبة ، وتأثير هده الحضارات المختلفة ناتج عن مجموعة من التفاعلات بين العوامل الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والطبيعية وغيرها، وتعتبر هده العوامل مجتمعة هى المؤثر الرئيسى على أى مجتمع مما يميز هدا المجتمع بطابعه الخاص الدى يختلف من بيئة لبيئة ومن عصر للآخر ، ودائما ما تعبر التكوينات المعمارية الداخلية والخارجية عن هده الخلفيات والتفاعلات .

فالتصميم المعماري سواء الداخلي او الخارجي دائما يستمد أصالته من بيئته ، فلكل مجتمع بيئته وعاداته وتقاليده ، وبدلك اختلف مفهوم الفراغ واستخدامه ، فلا ضرر ولا عيب من تمسك المصمم بتقاليد مجتمعه للوصول الي حلول تصميمية او تخطيطية محلية تعتمد علي الدات وتساعد على تأصيل الهوية .

ومن أهم ما يميز مصر والعمران المصري هو تعاقب الحضارات (الفرعونية والاسلامية) عليها مما أعطاها طابعا معماريا منفردا دو مداق خاص يختلف عن باقي الدول ، حيث تأثرت كل حضارة بما قبلها وتصبغت ببيئتها المحيطة فاختلفت عن مظاهر ومميزات نفس الحضارة فى بلاد أخرى .

ولقد ساهم التصميم المعماري الداخلي والخارجي في مصر في التلاحم مع البيئة المحيطة فى مختلف الحضارات وترجمة عادات ومعتقدات الانسان المصري الي مفردات ومكونات للحيز الفراغي نجدها تحتل أهمية كبيرة في اكتمال مظاهر الحضارات المتعاقبة دون المساس بالنواحي الجمالية للبيئة من حوله ، ومؤدية لكل الاحتياجات الفعلية للانسان المصري سواء كانت احتياجات روحية او حياتية .

وكان تأثير هده المعتقدات والموروثات – سواء الاجتماعية او الدينية او الثقافية – تأثيرا ايجابيا تكامليا علي نطاق العمارة الداخلية والخارجية وتقسيماتها وانتقاء مفرداتها اومكوناتها اوزخارفها ، وابتكار أشكال معمارية جديدة لتتواءم مع الطابع العام وتؤدي الدور المطلوب منها سواء دورا وظيفيا او دورا جماليا . فكل أمة لها نوع العمارة الدى يناسبها فالى جانب المعتقدات والموروثات نجد عوامل أخرى أساسية كطبيعة المنطقة والمناخ وتوافر الخامات المستخدمة .

ولهدا تهتم هده الورقة البحثية بالقاء الضوء علي كيفية تأثير هدا الموروث الاجتماعي او الثقافي او العقائدي علي مفردات وتقسيمات العمارة الداخلية والخارجية ومدي اختلاف دلك عن ما نراه الآن من ضياع الهوية في الطابع العام للتصميمات المعمارية الداخلية والخارجية.

مشكلة البحث

حالة الفوضي وافتقاد الطابع في عناصر التصميم الداخلي والمعماري من تشكيل للمسطحات او ألوان غير متلائمة او فوضي في اختيار العناصر التصميمية ، مما يؤثر سلبا علي الطابع الثقافي والاجتماعي العام وعلي الهوية المصرية.

أهداف البحث

- يهدف البحث الي توضيح الأسس والمفاهيم التي أثرت علي التصميم الداخلي والعمارة في مصر.
- التعرف علي علاقة التصميم الداخلي والعمارة بمتغيرات الموروث الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في مصر .
- القاء الضوء علي كيفية الربط والتكامل والتواصل بين التصميم الداخلي والعمارة الخارجية في حضارات مصر المتعاقبة .

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في النقاط التالية :

- التعرف علي هوية مصر العمرانية علي مر العصور .
- تركيز الضوء علي أهمية الموروثات الاجتماعية والثقافية في التصميم المعماري.
- توجيه أنظار المتخصصين في هدا المجال الي عدم الانسياق وراء الفكر الغربي دو الطابع الموحد وانما اللجوء الي التنمية والتطوير التكنولوجي مع الحفاظ علي الركائز الأساسية للطابع الحضاري المصري

منهجية البحث

سوف يسلك البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال الاطلاع علي العمارة الداخلية والخارجية فى مصر وتحديد معالمها ، وكيفية صياغة ملامحها النابعة من تأثير البيئة الاجتماعية والثقافية ، واستنباط الاسس البنائية التى قامت عليها وما ترتب على دلك من تغيير فى تشكيل الفراغات .

خطوات البحث

ولإجراء هدا البحث ليحقق الهدف منه يجب دراسة العناصر التالية :

1- تأثير الموروثات على العناصر المكونة للفراغ المعمارى

ان عمارة الارض هى أصدق سجل للحياة وهى التى توثق التاريخ ، وأعمال العمارة والعمران تأتى من التجارب الرئيسية لأى أمة، وتمثل الخبرات الحياتية المتراكمة للأمة وسعيها للبقاء. والعمارة عامة تنمو من الداخل الى الخارج ، فالحيز الداخلى هو النواة والقلب لأى مبنى ، ومنه نتعرف على تأثير الموروثات الاجتماعية والثقافية على العمارة ككل ، حيث تنعكس عليها فى عدة صور منها ارتفاعات الحوائط ، أشكال الفتحات واحجامها وأماكنها ،

اختيار مواد البناء ، والتعبير المعمارى لحركة الانسان حيث الانفتاح الى الداخل او الخارج ، وسوف يسرد دلك فى البحث بالتفصيل .

1/1 عوامل التأثير على العمارة الداخلية والخارجية

يتأثر التصميم الداخلى والخارجى للعمارة بعدد من العوامل الرئيسية وهى :

العوامل الطبيعية	العوامل العمرانية والمجتمعية
➢ طبيعة الأرض	➢ مقومات المجتمع الحضارية (لغة – دين – معتقدات)
➢ العوامل المناخية للمنطقة	➢ مستوى الثقافة
➢ المواد المتوفرة للاستخدام	➢ التقاليد والعادات
	➢ انشطة الانسان (نشاط زراعى – تجارى – صيد)
	➢ التطور التكنولوجى

2/1 الفراغ المعمارى

يعرف الفراغ المعمارى بانه جزء من الفراغ العام للمبنى ، ولكل فراغ معمارى تشكيل خاص به نابع من طبيعة الانشطة المقامة داخله ، واتحاد مجموعة من الفراغات المعمارية باشكال مختلفة هو ما يكون العمارة الخارجية ،ولاى فراغ مجموعة من المحددات التى تشكل هيئته .

1/2/1 محددات الفراغ المعمارى

وتنقسم الى محددات أفقية وهى الأرضيات والأسقف ، وأخرى رأسية وتمثل الحوائط بما فيها من فتحات ومداخل وأيضا الفواصل او القواطيع الثابتة والمتحركة ، وهده العناصر مجتمعة هى التى تحدد الفراغ ، والاحساس بالفراغ المعمارى يختلف باختلاف العلاقة بين هده المحددات ، فكلما كانت نسبة الفتحات فى هده المحددات صغيرة كان الاحساس بالفراغ

المعمارى المحيط قويا ، اما ادا كانت نسبة الفتحات كبيرة فيحدث دمج وتواصل قوي مع الفراغات الخارجية ، وعلى مر الحضارات فى مصر فقد تطور هدا المفهوم كالتالى :

- المرحلة الاولى تكون فيها الفراغ من خلال التفاعل بين الكتل المختلفة وهى مرحلة العمارة المصرية القديمة
- المرحلة الثانية بدأت فيها مشكلة الفراغ الداخلى وتغطية الأسقف واستعمال القباب والملاقف الهوائية والفصل بين الحجرات الداخلية للرجال والنساء وهى مرحلة العمارة الاسلامية
- ثم تم إضافة بعض الزمن الى الفراغ ، حيث يتم ادراك الفراغ من خلال الحركة فيه ويتمثل دلك فى العمارة الريفية على سبيل المثال ، والعمارة المعاصرة .

1/1/2/1 الاسقف

السقف هو السطح الداخلى العلوى الدى يحدد الفراغ من أعلى وقيمته الوظيفية بالاشتراك مع الحوائط تتبع من حمايته للمناطق الداخلية من العوامل المناخية ، وكانت الاسقف فى العمارة المصرية القديمة للمساكن تقام من اما بالطين اللبن بسطح مستقيم أو بمجموعة من انصاف جدوع النخيل ويكون السطح النصف دائرى الى الداخل ، ولا يغطى السقف الفراغ الداخلى بالكامل وانما يترك جزء مكشوف (الفناء) قد يكون فى الوسط او على أحد الجوانب ، ودلك لدخول الشمس الى داخل البيت والتى تمثل الاله الاعظم (رع أو أمون) عند المصري القديم ، ويكون سقف القاعة الوسطى أعلى من باقى الحجرات وكان يقام على مجموعة من الأعمدة الخشبية من اثنين الى ثمانية حسب مساحة القاعة وكانت مخصصة لاستقبال الزائرين .

اما فى العصور الاسلامية فقد تميزت وتطورت الاسقف بمجموعة من التشكيلات المعمارية الفريدة ، ففى المساجد المدارس والبيمارستان (مستشفيات) كانت تغطى بالقباب دات الاقطار المتفاوتة ، والقبة هو نوع من التشكيلات المعمارية التى تستخدم فى التسقيف ، وهى تتكون من نصف كرة او جزء من كرة ، وترتكز على مجموعة من المقرنصات التى من شأنها ان تنقل حمل الشكل الدائرى الى شكل سداسى او ثمانى ثم الى الشكل المربع ، ودلك بديلا عن ارتكازها على اربعة اعمدة ، أما فى المساكن فكانت أسقف القاعات الوسطى (الايوانات والدرقاعة) تغطى بالبراطيم الخشبية وهى عبارة عن كتل خشبية مربعة او مستطيلة القطاع ممتدة بين طرفى السقف ترتكز على كوابيل خشبية ، ويزين السقف الخشبى بالكامل بالتلوين او التدهيب او بالنقوش الزخرفية والكتابات المتنوعة .

ويعتبر الصحن المكشوف من المكونات الأساسية فى البيوت الاسلامية ، والدى يطل عليه مقاعد المعيشة ومقاعد الاستقبال ، واستخدم لنقل البيئة الخارجية الى الداخل وللتلطيف من درجة الحرارة صيفا ، وفى بعض البيوت كان يوجد عنصر معمارى وهو ملقف الهواء الدى يعلو القاعات الصيفية ويرتفع عن بقية الاسقف وينتهى بمنور من الخشب لتجديد وتبريد هواء الغرف ، وفى بعض البيوت وجدت بعض القباب الجصية الصغيرة بفتحات دائرية تغلق بالزجاج الملون ، وكانت تغطى الحمامات .

وفى بيوت الريف المصرى نجد فتحات دروة السقف ، وهى عبارة عن عدة فتحات متجاورة فى الشرفات العلوية بغرض تأمين حركة من بالداخل وحرية الاطلال على الخارج .

2/1/2/1 الارضيات

استخدم الرخام كعنصر أساسى لتكسية أرضيات البيوت دات العمارة الاسلامية ، وكانت تتميز بالتصميمات التى تتخد من الأشكال الهندسية أساسا لها مع تعدد ألوان وأنواع الرخام المستخدم ، وفى القاعات الكبيرة كانت الارضية تقسم الى مستويين ، ويتوسطهم أرضية منخفضة بدرجة واحدة ، وعادة كانت تحتوى على نافورة من الرخام ، وأحيانا صفا رخامية على الجانبيين ، وكانت هده الأرضية المنخفضة تفصل بين الإيوانين الرئيسيين للقاعة وبهما أماكن الجلوس سواء المجالس الأرضية او على جزؤ من الأرضية الرخامية التى ترتفع بمقدار من 30 : 70 سم .

جزء من القاعة المحصصة للنساء فى بيت السحيمي وتتضح الارضية

أرضية القاعة تقسم الى جزئين يتوسطهم مستوى منخفض يحتوى على

3/1/2/1 الجدران (الحوائط) والفواصل الثابتة

كانت الجدران فى عمارة مصر القديمة نوعان ، بالنسبة لجدران المعابد والقبور فكانت شاهقة الارتفاع وتبنى من الاحجار السميكة التى كانت تزين بالحفر والنقوش والكتابات الفرعونية

ولم يكن بها فتحات ، وكانت تبنى دائما سميكة ومنحدرة ، أما جدران المساكن فكانت تبنى من الطوب او الطين النئ وتكسوها طبقة من الملاط وكانت تزين بمناظر نباتية او رسومات او كتابات هيلوغريفية ملونة ، وكانت قليلة الفتحات ، والجدران الداخلية فى بعض الاحيان كان يرسم عليها ابواب وهمية رمزا للعبور الى الدار الأخرة والحياة بعد الموت ، وينبع دلك من عقيدة المصرى القديم بان الدنيا ليست باقية وانما هو يبحث عن الحياة الاخرى بعد الموت وبالتالى فكان الاهتمام الاكبر بالمبانى الدينية والمقابر .

اما فى العمارة الاسلامية فكانت الحوائط الخارجية تبنى على مداميك منظومة من الحجر وعدد من قوالب الطوب بالتعاقب أو الحجر المختلف الالوان ، وكانت قليلة الفتحات المطلة على الطريق العام ، لدا فنجد الاهتمام بوجود الفناء الداخلى (الصحن المكشوف) ، وجعل الفتحات الهامة والرئيسية تطل على هدا الفناء من الداخل .

وكانت تحلى جدران المبانى من أعلى بالشرافات وهى عبارة عن صف أفقى متساوى من الحليات التى ترص بجوار بعضها البعض ومنها ما اتخد شكل الورقة النباتية الثلاثية او الخماسية او شكل العرائس ، والتى تشاهد متداخلة مع السماء بالسالب والموجب كاسنان المشط .

1/3/1/2/1 الفتحات والمداخل

تمثل الفتحات أهمية كبرى فى التأثير على خواص التشكيل البصرى للحوائط والواجهات ، وقد اختلفت فى العمارة المصرية على مر العصور فى أشكالها وأحجامها وحتى ارتفاعاتها ، ففى العمارة المصرية القديمة كان مدخل البيت مستورا بالفناء الدى يسبقه والدى كان يحيط به جدارا ساترا يهدف الى اخفاء المدخل وستر من بالداخل ، وكانت النوافد تفتح فى الجزء العلوى من الجدران لتعطى الاضاءة .

الفتحات الصغيرة والبروزات الحائطية فى واجهة بيت زينب خاتون

اما فى العمارة الاسلامية فيظهر التباين بين المسطحات والفتحات نظرا لطبيعة وطرق الانشاء التى كانت تعتمد على مواد البناء المحلية مثل الحجر الدى أعطى معظم الفتحات إتجاها طوليا وأوجد العقود لتغطية الفتحات الكبيرة ، وكانت مداخل المبانى العامة تختلف عن المساكن ، ففى المبانى العامة كانت عبارة عن فتحات عميقة مستطيلة فى المسقط الافقى ، عمقها يقرب من نصف عرضها ، وتحتل معظم ارتفاع المبنى ، وتنتهى بعقد ، أما مداخل المساكن الخاصة فكانت دائما منكسرة فى المسقط الافقى كى لا يرى المار فى الشارع من بداخل البيت ، وكانت أغلب الفتحات العلوية كبيرة تغطى بالمشربيات الخشبية ودلك له غرضين ، غرض وظيفى لدخول الشمس وحركة الهواء داخل الغرف وستر من بالداخل عن المارين بالشارع ، وكانت ايضا دات تشكيل جمالى .

3/1 التعبير العضوي للعناصر المعمارية

تهدف العمارة العضوية الى عدم تدمير البيئة التى تدخلها وتصبح جزء منها ، ولقد عولجت هده الفكرة على مر العصور بعدة طرق منها استخدام المواد الطبيعية البيئية الموجودة بحيث يبدو المبنى جزء لا يتجزأ من البيئة المحيطة .

فكان المصرى القديم يحترم بيئته ويحافظ عليها من منظوره الايمانى ، فمواد البناء المستخدمة فى العمارة الداخلية والخارجية المصرية القديمة هى الطوب اللبن المصنوع من طمى النيل ، والحجر الآجر والرملى والجيرى ، والجرانيت ، واستخدم الاخشاب فى بعض الاحيان، كل هده المواد هى مواد بيئية عضوية وتتآلف مع بيئتها المحيطة ، وقد استخدم الالوان الطبيعية فى الرسم والكتابة والتزيين للجدران الداخلية فقط . والقيمة الكبرى للعمارة المصرية القديمة تكمن فى تلك الوحدة العضوية والتجانس والتفرد والتميز التى اتسمت بها وكأنها نتاج مدرسة واحدة تعلم الجميع منها الاسلوب والاختزال والتجرد .

اما فى العمارة الاسلامية فلم يفصل المعمارى الناحية الانشائية عن الناحية المعمارية ، فقد احتاج الى تقوية الجدران بحوائط ساندة وأكتاف بارزة نظرا لارتفاع حوائط القاعات ، وقد اندمجت واستغلت هده العناصر فى العمارة الداخلية ، وعلى سبيل المثال فقد استغلت الفراغات بين الأكتاف كمصاطب للجلوس ، او كدواليب حائطية ، وقد استخدم فراغ المشربيات كأماكن ثابتة للجلوس .وبدلك فقد عكس تشكيل القاعات وظائف المكونات المعمارية ، فظهرت فى صورة عضوية واضحة دون تكلف .

وفى المساكن الريفية فقد استخدم الطوب اللبن فى البناء المعمارى واستخمت أخشاب وسعف النخيل فى تغطية الاسقف وبنيت المصاطب الثابتة للجلوس والنوم من الطوب اللبن والطين ، بما يتآلف مع البيئة المحيطة ويندمج معها فى توازن تام ، وفى سيوة استخدم حجر الكرشيف

فى البناد وهو عبارة عن الرمال الناعمة المتوفرة فى البيئة المحيطة مضافا اليها الملح الخشن ، وبنيت منعا المنازل التى كانت تدعم بأعمدة خشبية من نخيل البلح او نخيل الدوم ، وفى صحراء سيناء استخدم البدو عنصر الخيمة وكانت تسمى ببيت الشعر حيث كانت تصنع من شعر الماعز مضافا اليع صوف الضأن ووبر الابل مما يضفى عليها متانة وقوة تحمل ، وكانت تندمج مع الصحراء كقطعة منها .

نستخلص من دلك ان التصميم الداخلى والعمارة فى مصر على مر العصور اندمجوا وتمازجوا مع البيئة المحيطة كجزأ لا يتجزأ منها ، اعمالا بمبدأ العضوية فى التصميم .

4/1 الأثاث

يعتبر الأثاث عنصرا من أهم عناصر العمارة الداخلية ، ويعتمد تصميم الاثاث على وظيفته وعلى الفراغ الدى سيوضع فيه .

اهتم المصرى القديم بالأثاث الجنائزى أكثر من اهتمامه بالأثاث المستخدم فى المنزل للاغراض المتعارف عليها ، ودلك نابعا من إيمانه بالخلود بعد الموت والاستعداد الدائم للحياة الاخرى بكل ما يملكه ، فكان المنزل فى العادة يحتوى على قطع أثاث بسيطة معتمدة على المقياس الانسانى ، وكانت من الأخشاب البيئية والبوص وسعف النخيل واستخدمت معها بعض الخامات الأخرى مثل البرونز وجلود الحيوانات والكتان ، كما استخدم الاثاث الثابت فى صورة مصاطب للجلوس او للنوم فى بعض الأحيان .

أما بالنسبة لمنازل الأمراء وكبار رجال الدولة فكانت تزخر بكل أنواع الأثاث المزخرف والمغطى بالنقوش والألوان والاحجار الكريمة وفى بعض الاحيان يصفح بالدهب ، وكانوا يستخدمون أشكال رؤوس وأرجل الحيوانات كقوائم للمناضد او أرجل الكراسى ، وكان كرسى رب المنزل دائما له مسند للقدم دليلا على العظمة .

اما فى الحضارة الاسلامية فقد التزمت بالمقياس الانسانى فى العمارة الداخلية والاثاث ، فنجد القاعة رغم ارتفاع عناصر التصميم بها ، فقد قسمت الحوائط الى قسميين أفقيين ، وخصصت الأجزاء السفلى منها الى ما يحتاجه الانسان فى معيشته وسلوكه اليومى ، وما يتعلق بمقياس الانسان من أبواب ودواليب حائطية ودخلات وأماكن للجلوس ثابتة وغير ثابتة ، وجمع دلك فيما يسمى بالوزرة بارتفاع مناسب واستخدم هده الوزرة قاعدة لباقى الجدار.

وقد تنوعت قطع الأثاث ما بين الثابت والمتحرك ، وقد استخدمت الفراغات السالبة للمشربيات والأكتاف الكبيرة للمبانى فى عمل جلسات ثابتة من الخشب او من المبانى فى بعض الأحيان ، وكانت المقاعد الصيفية المطلة على الفناء الداخلى تزخر بالعديد من قطع الأثاث منها المجالس الأرضية وتتوسطها صينية دائرية من النحاس بقاعدة وأرجل خشبية ، ومنها الأرائك الخشبية

والمناضد الجانبية والخزانات الحائطية ، وبوجه عام فكانت كل قطع الأثاث مزخرفة بالعديد من أنواع الزخارف منها النقش والحفر والتكفيت والترصيع وأشغال العاج وغيرها ، ولم يترك أجزاء فارغة بدون زخارف ودلك فى الأصل نابع من الفلسفة العقائدية للفنان المسلم بضرورة ملأ الفراغ لعد إعطاء أى فرصة للشيطان بالتواجد ، كما كانت الزخارف كلها هندسية او نباتية مجردة ودلك لعقيدة مخالفة
الطبيعة وحرمة رسم او تشخيص الكائنات الحية .

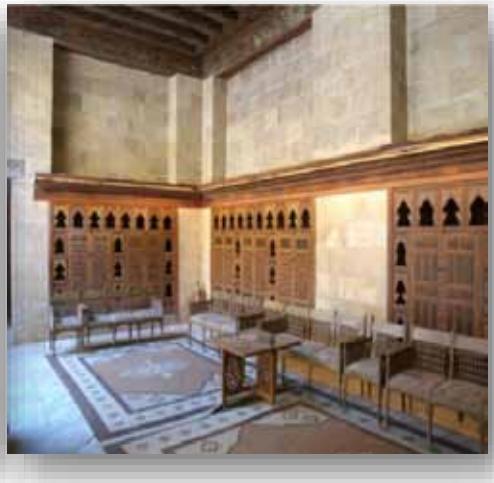

تأثيث المقعد المطل على الصحن او الفناء الداخلى

المجالس الارضية فى القاعات المخصصة للنساء فى بيت السحيمى

واختلف دلك فى الريف المصرى حيث كان المنزل يعتمد على بعض القطع المتواضعة من الأثاث لا، وأولها هى المصطبة وهى عبارة عن بناء من الطوب النئ بجوار جدران الغرف وتستخدم بدلا من الآرائك الخشبية أو الكراسى للجلوس ، وقد تستخدم فى النوم صيفا ، وكان لابد من وجود مصطبة خارج المنزل بجوار الباب وتكون مخصصة لاستقبال الزوار من الرجال ، وربما يدل دلك على عقيدة الفلاح المصرى بضرورة اكرام عابرى السبيل ، وكان الفلاح المصرى يحرص على تقاليد قديمة وراسخة ان لا تتعرض زوجته وبنات عائلته للغرباء ، وكانت البيوت الأكبر حجما بها غرفة او قاعة بعد المدخل مباشرة تخصص لهدا الغرض ، ويحتوى المنزل أيضا على الفرن فى القاعة الشتوية وتعلوه مصطبة كبيرة تستخدم

لنوم أفراد العائلة فى فصل الشتاء للتدفئة ، وتحتوى الغرف على صناديق خشبية كانت تستخدم لحفظ الملابس او بعض الممتلكات دات القيمة ، وكانت تسمى السحارة .

أما البدو فى سيناء فكانت قطع الأثاث لديهم فى غاية البساطة ومن شروطها الاساسية ان تكون لها قابلية الطى والحمل ، لاحتياجهم الدائم للترحال وراء الماء والمرعى ، فكانت تصنع فى الغالب من جلود الحيوانات او من الخوص وسعف النخيل او من الصوف المغزول .

2- تأثير الموروثات على العناصر المكملة للتصميم المعمارى

1/2 الضوء

يعتبر الضوء الطبيعى وسيلة من وسائل التعبير المعمارى ، فالضوء وحده يستطيع أن يخلق الشعور بالفراغ المحيط .

ولقد أدرك المعمارى المصري القديم دلك وترجمه فى أعماله ، بالاضافة الى معتقداته بان الضوء يرمز الى الشمس او الأله رع حارس السماء ، فحرص على إقامة الأفنية الفسيحة والأعمدة الشاهقة ، وكانت الأعمدة الوسطى دائما أعلى من الجانبية مما يخلق فراغا محيطا من أعلى يدخل منه الضوء شديد السطوع ثم ينتشر فى باقى أجزاء المكان مما يزيد الجو رهبة وروعة .

وكانت المبانى كلها كتل ساكنة يظهر الضوء فيها علاقات تشكيلية جديدة عن طريق تلاحم أجزاء الظل والنور الساقطة بزوايا مختلفة ، مما يجعلها تتسم بسياق من الحركة والتدفق بتأثير رحلة الشمس اليومية عبر واجهات المبانى .

فالهدف من الاضاءة فى المعابد هو خلق جو من الغموض والأسرار ، فكانت الفتحات دائما ضيقة ورفيعة وعلوية ، مما يحكم حركة الناس داخل المعابد بواسطة الايقاعات المتكررة لعناصر المبنى نحو اتجاه محسوب باتجاه الضوء والظلال ، وتشكل الفراغات البينية سواء الغائرة او البارزة فى الحوائط مع الفتحات العليا ملمحا من ملامح التشكيل الداخلى البسيط المعتمد على قوة الظل والنور .

اما فى العمارة الاسلامية فكانت الفراغات كلها متوافقة ضوئيا ، وكان الضوء جزءا عضويا فى أى مبنى ، فكانت إضاءة القاعات الرئيسية فى العادة تأتى من أحد اتجاهين ، إما الاطلال على الفناء الداخلى بكامل الحائط مما يعطى إضاءة كاملة متناسقة فى المكان ، او عن طريق المشربيات التى عملت على توزيع الإضاءة توزيعا منظما داخل القاعات .

وكانت الظلال لها قيمة وظيفية أساسية بجانب القيمة الجمالية فى العمارة الاسلامية ، ودلك للتلطيف من حرارة الجو ، واتضح دلك فى المشربيات واستخدام الكتل الغاطسة والبرتزات والأكتاف فى المبانى .

أما بالنسبة للمبانى العامة والمساجد فقد ظهرت القمريات وهى مجموعة من الفتحات العلوية الدائرية التى تنتج إضاءة جيدة فى كل أنحاء المكان ، فأعطت ظلالا وأضواء زادت مظهر المكان جمالا من الداخل ، ودلك بالاضافة الى القبة التى لا تحدد الفراغ وإنما هى تمدده وترفعه الى أعلى ، فقد احتوت رقبة القبة على فتحات تعطى إضاءة علوية غير مباشرة موزعة فى كامل المكان فى تكامل وانسجام .

2/2 اللون

من المعروف ان كثير من عناصر المعابد المصرية القديمة كانت فى الأصل ملونة ، ولكن الزمن سلبها الكثير من آثار الألوان بحيث لم يبق منها الا أحجار بلونها الطبيعى ، ومع انها تغيرت كثيرا الا انها ما زالت عمارة مبهرة ، حيث ان الفن المعمارى يختص فى الأساس بتشكيل الكتل وتوزيع الفراغات ، أما وظيفة اللون فهو توضيح شخصية المبنى أوتركيز شكله.

فقد اعتمد فى الاساس على ألوان الخامات الموجودة فى الطبيعة من أحجار رملية أوالباستر أو جرانيت واستخد بعض الالوان الاكاسيدية او الصبغات للتجميل وللزخرفة او التكسية بالدهب لتوضيح رسومات وأشكال بعينها ، فكان ينظر للالوان على انها رموز ، فاللون عند المصرى القديم إيحائى أكثر منه حقيقى ، فاللون الأخضر كان رمزا للنماء والخضرة ، واللون الأصفر يشير الى الخلود والديمومة ويتمثل فى أشعة الشمس الدهبية ، واللون الأحمر رمزا للقوة أو الغضب ، واللون الأبيض يشير الى النقاء او المكانة الاجتماعية الرفيعة .

أما فى العمارة المصرية الاسلامية فقد زادت قيمتها بدمج ومدج الفنون التشكيلية فيها كالزخرفة والتطعيم بالفضة أو العاج ، والفسيفساء ، والزجاج الملون المعشق ، وأشغال المعادن ، وتشكيلات الرخام المطعم . وعلى هدا نجد ان الألوان قد لعبت أدوارا أساسية فى العمارة المصرية الاسلامية كجزأ لا يتجزأ منها ، وكان اللون هو فى الأغلب لون المادة او الخامة الأصلى .

3/2 الملمس

يخلق الملمس عددا غير محدود من الأضواء والظلال وعلى دلك يعمل على جدب النظر الى المادة ، ولقد استخدم الفنان المصرى القديم الملمس فى التعبير عن أفكاره محاولا نقل ما يراه

فى الطبيعة ، حيث تنوع لديه الملامس حسب الموضوع ، وليست حسب الخامة ، بين الصقل والنقش والتهشير والخدش والتخشين أحيانا ، وينبع دلك من تقديس المصرى القديم لكل مفردات الطبيعة من حوله بكل صورها .

وقد ادرك الفنان المسلم قدرة الملمس على دعم الخصائص النظرية الطبيعية للمادة او تقليصها والتقليل من دورها او حجبها ، فعرف ان احساس النعومة مريح ولكن نسبة من الخشونة يمكن ان تكون على درجة أكبر من الجاذبية ، وكلما ازدادت تصبح دات طابع عدائى وتبعد العين عن النظر اليها .

ومع العلاقات المتداخلة والمركبة فى العمارة الاسلامية الداخلية والخارجية من أنساق وأنماط ، الا ان الأسطح الخشنه ليس لها نصيب كبير داخل هدا التنوع الهائل ، ودلك لان تلك الاسطح سوف تسبب عدم تواؤم ، وتشتت الانتباه عن ملاحظة الملامح الهندسية الكلية المحددة تحديدا واضحا .

ادن نجد ان نوعيات الملمس على اختلافها تعتمد على طبيعة المادة وتعمل على الحفاظ عليها واظهارها فى أجمل صورها ، كما عمد الفنان المسلم الى تجميع اجزاء من مادة ما تتكون من قطعا صغيرة تشكل نسقا جديدا وله ملمس جديد يخالف ما يوجد فى الطبيعة ، وظهر هدا الاتجاه فى تطعيمات الرخام والحجر ، وبالرغم من بقاء الخامات على طبيعتها الخاصة الواضحة ، إلا ان شخصية السطح الجديد المتكونة هى التى تصبح أكثر سيطرة من الشخصية الضمنية لكل خامة على حدى .

4/2 النسق

يرى المسلم جمال الدنيا جمالا فانيا ، ولما كان التصوير الحقيقى للطبيعة من أشخاص وحيوانات ، وأيضا صناعة التماثيل هى أشياء محرمة فى الاسلام ، فانه قد حدث تحول للخيال الابداعى تدريجيا الى منظومات مجردة يتم تطويعها وتطويرها مع ازدياد الخبرة .

وكانت الآفكار الاساسية للأنساق هى أفكار هندسية تعكس وحدة الكون من خلال التحكم فى الاشكال المتشابكة الى جانب وجود الانساق التى تعبر عن النباتات والأشكال الطبيعية ، وايضا التركيبات الخطية التى تنطق بكلام الله ، كما ان التكرار لها هو مبدأ تم التأكيد فى كل الانساق .

وكان دائما تطور الانساق فى إتجاه تنائى الابعاد شديد الوضوح ودلك نابع من محاولة البعد عن تصوير اى كائن حى لحرمة دلك ، اما عند المصرى القديم فقد تطور النسق عنده فى اتجاهات ومستويات مختلفة ، ثنائية الابعاد فى النقوش والكتابات والجداريات ، واخرى ثلاثية

الابعاد فى التماثيل ورؤوس الاعمدة ، تعكس مستويات متداخلة من استيعاب الخامات وطبيعة تشكيلها ، حيث تتحول السطوح من أسطح مادية الى أسطح دات صفات روحية .

3- القيم الموروثة المؤثرة على التصميم الداخلى والعمارة

ان التراث هو نتاج لمجموعة متحدة من القوى الثقافية التى تندمج مع روح العصر ، والعقيدة ، والثقافة الشعبية ، والموروث الثقافى ، والحالة الاقتصادية وكدلك تأثير المحددات الطبيعية مثل إطار العلاقة بين الانسان والبيئة المحيطة ، خامات البناء المتاحة ، وعندما تتفاعل تلك القوى معا يولد الطراز وهو الدى يجسد شكلا ناتجا عن الحضارة .

1/3 ماهية الموروث الثقافى والاجتماعى

ان كل ما ينتقل او يورث من جيل الى آخر من عادات او تقاليد يطلق عليه الموروث الاجتماعى وما يورث من آداب او علوم او فنون او عمارة يطلق عليه الموروث الثقافى ، ودائما ما يعكس التراث كل ما توصلت اليه الحضارات ، وكل حضارة لابد ان تكون لها جدور ارتكزت عليها نابعة فى الاصل من البيئة المحيطة ، وتقاس مدى رقي أى حضارة بمدى تأثيرها وانعكاسها على سلوك الناس وانماطهم الحياتية .

" وما يميز الشعب المصري والحضارة المصرية ليس فقط آثار قدماء المصريين ، ولكن أيضا الأحياء والأزقة القديمة والجوامع والمآدن والكنائس العتيقة التى تعطى للقاهرة مذاقها الخاص ، أما ناطحات السحاب والمبانى المعمارية الحديثة فمثلها فى كل بلاد الدنيا ، إدا رأيت صورا لها فلن تتعرف على الدولة التى بنيت فيها ، فهى كلها مبان دات طابع واحد لا يتغير وبلا هوية ولا تدل على أصالة ولا تاريخ ... " من مقال ريتشارد آلان أندرسون فى جريدة الأهرام عام 1988

2/3 القيمة الاجتماعية

تعبر طريقة تنظيم مساكن المصرى القديم عن القيم الاجتماعية التى كانت سائدة ، حيث احترام عناصر البيئة باتقان استخدام المواد المتوفرة فيها ، واحترام الخصوصية عن طريق اختفاء مدخل البيت والتواءة وراء ساحة الحديقة الملحقة ، وظهر اهتمامه بفكرة الخلود والبعث بعد الموت فى الاهتمام بالمعابد والصروح الدينية والمقابر والاهتمام بالاثاث الجنائزى الدى يوضع فى المقبرة أكثر من الاثاث المستخدم فى المعيشة ، وكان المصرى القديم يقدس كل أنواع الحياة وقد سجل دلك على الجدران فى صورة رسومات وكتابات هيلوغريفية ، وكان يحاكى أشكال النباتات والطيور والحيوانات فى كل مقتضيات الحياة وفى العمارة

والأثاث ، ولم يكن هناك فصلا بين الرجال او النساء فى المنازل بل كانت حجرات استقبال الزائرين فى وسط المنزل .

وفى البيوت التراثية الاسلامية نجد نموذجا صادقا معبرا عن الحياة الاجتماعية من خلال مكونات وعناصر المبنى سواء الداخلية او الخارجية ، فكانت المساقط الافقية تصمم بطريقة انفردت بها ، ودلك لغرل بعض أجزاء من المبنى وتخصيصها للنساء وسميت بالحرملك ودلك لتمسك المسلمين بعقيدة الستر والحجاب ، وكانت الفتحات المطلة على الخارج اما صغيرة تحميها قضبان معدنية أو كبيرة مغطاه بالكامل بالمشربيات .

وقد تم تحقيق مبدأ الخصوصية فى المداخل المنكسرة والنفتاح على الفناء الداخلى ، وحفظ حقوق الجار وعدم الاطلال عليه ، وكانت المبانى مجاورة لبعضها البعض متضامة فى نسيج واحد ، وربما يعبر دلك عن التراحم او لامكانية التزاور بين الناس بسهولة ، وكان العامل الاساسى هو حجب النساء باستخدام المشربيات التى تطل على الخارج والسواتر الخشبية بين قاعات الرجال والنساء .

وظهرت القيمة الاجتماعية ايضا فى المساكن الريفية حيث وجدت المصاطب المبنية خارج البيت مما يدل على اكرام عابرى السبيل ، وظهرت عند بدو سيناء فى العناصر المعيشية البسيطة التى كانت من أهم مميزاتها هى إمكانية طيها ونقلها مع الخيمة على ظهور الجمال للترحال وراء الماء والمرعى .

3/3 القيمة السياسية

على مر العصور ، اعتبرت العمارة من الأدوات الهامة بيد الحكام للتعبير عن الرخاء او القوة او الازدهار ، ونرى دلك فى بناء الصروح المعمارية التراثية سواء الدينية او الدفاعية او القصور .

ففى العصر الفرعونى بنيت الكثير من المعابد الدينية ، وكل منها يعبر عن حقبة زمنية معينة ، ونجد كل ما بداخل هدا الصرح يصف تفاصيل هده الحقبة او الحروب او الانتصارات التى تمت فيها تمجيدا لحكام تلك الحقبة ، وفى العمارة المصرية الاسلامية نجد تشييد الاسوار الدفاعيو ، وبناء المساجد الجامعة والاسبلة ، فقد تميزت حقب العمارة الاسلامية بنمادج معمارية تراثية راعت تعاليم الدين الاسلامى .

4/3 القيمة الثقافية

تعتبر العمارة الداخلية والخارجية شاهدا على العصر ، فق برزت فى العمارة المصرية القديمة قدرة الفنان على استيعاب جميع مفردات البيئة المحيطة من مواد خام او أشكال

وتطويعها فى صورة صروح دينية ومعابد بارتفاعات شاهقة شاهدة على عظمة الهندسة البنائية والتطور الفكرى ، وتعتبر أبعاد الكتل والفراغات وتناسبها مع بعضها البعض بدراسة وعلم ابداعى خير دليل على دلك ، حيث انبثقت العمارة المصرية القديمة من فكرة ايمانية وهى فكرة البعث والخلود بعد الموت ومن ثم فولى اهتمام بالغ بكل ما يخص العبادة او المقابر ، واما حياته الدنيوية فكانت استعدادا دائما للحياة الاخرى .

وجاءت العمارة الاسلامية لترسخ لمعان الشموخ والعظمة ومعبرة عن هوية الفنان المسلم ، وإنعكاس للاتزان المعنوى والفكرى ، وبرغم استخدام المعمارى للتكوينات المربعة والمستطيلة الا انها تميزت بعضوية واضحة وانسجام مع الطبيعة ، وتمتد عناصر الطبيعة بصريا الى الداخل عن طريق المشربيات الخشبية ، وتمتد ماديا بتشكيل الصحن المكشوف سواء فى المبانى العامة او البيوت السكنية ، وتظهر القيمة الثقافية العلمية فى اسلوب البناء والمعالجات ودراسات النسب ، وكيفية تشكيل القباب وظهور عناصر انشائية او جمالية لم تكن موجودة من قبل كالمقرنصات والمآذن ، مما يدل على الانفتاح على الثقافات الأخرى واستنباط ما يتماشى مع العقيدة وتطويره.

ان فنون العمارة الاسلامية لا تهتم أصلا بنقل الحياة، وإنما تميل نزعته العامة الى السعى لتحسين الحياة الدنيا وتجريد المشاهد الحية فى الطبيعة حتى لا يبقى منها الا خطوطها الهندسية ، والفنان المسلم يتأمل الطبيعة لكى يتعرف على عناصرها ويفككها الى عناصر أولية يعيد صياغتها فى تركيبات جديدة ، وتعتمد ملامح فنون العمارة الاسلامية على عدة محددات :

- مخالفة الطبيعة
- التبسيط والتسطيح
- ملأ الفراغ
- المنظور الروحى

5/3 القيمة الجغرافية

انعكست البيئة الجغرافية فى العمارة المصرية الاسلامية على التوجيه للشوارع الرئيسية ، ودلك بالنسبة لأشعة الشمس والرياح ، فمثلا فى القاهرة نجد التوجيه كان من الشمال الى الجنوب ، حتى تكون الشوارع عمودية مع حركة الشمس ، فتكتسب ظلالا طوال النهار بالاضافة الى اكتسابها الرياح الشمالية التى تساعد على استمرار برودتها أطول فترة ممكنة .

وجاء تصميم الواجهات بفتحات زودت بالمشربيات للتقليل من درجات الحرارة ، أو وجود أكثر من فتحة على ارتفاعات مختلفة للمساعدة على حركة الهواء داخل الفراغ وكدلك إعطاء الحرمة والخصوصية لأهل المنزل ، كما ظهرت البروزات فى الواجهات لإعطاء مزيد من الظلال ، وأبح التوجد الى الداخل ، فجاء الصحن كعنصر تحكم بيئى داخل المنزل ودلك ، فى فراغ الصحن دو الفسقية وملاقف الهواء التى تساعد على حركة الهواء داخل المنزل ، مما يعطى الأمان والسكينة لساكنيه .

6/3 حالة الفوضى وإفتقاد الطابع

ان ما وصلت اليه حالة التصميمات المعمارية من فوضى شاملة فى كل عناصر ومكونات التصميم من ألوان صارخة للواجهات ، وتشكيل مسطح لا يندمج مع النسيج العضوى للمبنى وفوضى التنظيم ومخالفة القوانين من بروزات مخالفة وأجهزة تكييف وارتفاعات عالية فى طرز متنافرة المزاج متباينة المنشأ حتى أفقدت المدن طابعها المميز .

ولقد انعكس هدا بدوره على تشكيل الفراغ الداخلى مما أدى الى تشويه وفوضى نتيجة عدم ملائمة هدا التشكيل لعادات الساكن الاجتماعية ، ولعدم تلبيتها للمتطلبات المعيشية ، فلقد وصل التصميم الداخلى بكافة عناصره لحالة متردية من حيث صحة التصميم وأمانة الطراز وسلامة التنفيد ، فلم يراعى الخصوصية اللازمة لساكنيه ، ولا الظروف المناخية الحارة ، ودلك نتيجة للتأثر بالانماط التصميمية الغربية ، ومحاكاتها دون مراعاة الواقع الاجتماعى المحلى .

وفى هدا الصدد يقرر المعمارى حسن فتحى فى " تحديات التوسع العمرانى (حالة القاهرة) : " تعتبر مشكلة الاغتراب من أهم المشاكل التى تواجههنا وكدلك فقدان الطابع الأصيل فى التخطيط والتصميم المعمارى للمبانى ، والتى نشأت عن إنقطاع حركة التحضر الطبيعية النابعة من البيئة ، واقتباس التحضر السائد فى الغرب ، والدى لا يتفق فى كثير من النواحى مع متطلبات البيئة المحلية "

النتائج

- ان العمارة الداخلية والخارجية فى مصر تعكس حضارة مصر وحاضرها.
- نمت العمارة من الداخل الى الخارج فى جميع الطرز المصرية ، إيمانا بان وظيفة العمارة الاساسية هى حماية خصوصية الانسان وشعوره بالراحة والانتماء
- وجدت كثير من الدول ومنها مصر ان فى الحفاظ على المقومات المعمارية المتوارثة أسلوب جيد بغية الحفاظ على شخصية شعوبها ، حيث العمل على ربط الحاضر بالماضى ، حيث تبنى الأمم أساسا على عاملى الواقع الملموس والتاريخ .

- ان الاسباب الاساسية لضياع الأصالة فى العمارة المصرية يرجع الى التقليد الأعمى للنظم المعمارية المستوردة وغياب الوعى القومى .

التوصيات

- لابد من القيام بتحليل وفحص شامل للتراث المعمارى المصرى وحمايته من الاندثار.
- محاولة الانتماء والارتباط بالمحلية فى التصميمات المعمارية الداخلية والخارجية .
- ضرورة تحديد العناصر التى لها قيمة دائمة فى التراث المعمارى وتتواءم مع عصرنا الحاضر وتتطبيقها على العمارة الداخلية والخارجية .
- لابد من الاستعانة بالتراث المعمارى فى المشروعات السياحية كعامل جدب مميز ولتأصيل الهوية المصرية .

المراجع

1. د/أحمد خالد علام ، د/اسماعيل عبد العزيز عامر (2001) – المسكن الريفي في القرية المصرية – مكتبة الأنجلو المصرية
2. د/توفيق أحمد عبد الجواد (2016) – تاريخ العمارة والفنون (العصور المتوسطة والاوروبية والاسلامية) – الجزء الثاني – مكتبة الانجلو المصرية .
3. حسن فتحى (1970) القاعة العربية فى المنازل القاهرية ، أبحاث ألفية القاهرة – دار الكتب – القاهرة .
4. ريتشارد آلان أندرسون (1988) – القاهرة تعانى فوضى معمارية – مقال – جريدة الاهرام – القاهرة .
5. عبد الباقى ابراهيم (1982) – تأصيل القيم الحضارية فى بناء المدينة الاسلامية المعاصرة – مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية – القاهرة .
6. د/ على رأفت (1998) – الابداع الفنى فى العمارة – مركز أبحاث انتركونسلت .
7. د/ كمال الدين سامح (1983) – العمارة الاسلامية فى مصر – الهيئة العامة المصرية للكتاب – الطبعة الثانية .

8. د/ محمد الجوهرى (2007) – التراث الشعبى فى عالم متغير (دراسات فى اعادة انتاج الأثاث) – عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية – الطبعة الاولى .

9. د/ محمد زينهم (2001) – التواصل الحضارى للفن الاسلامى – وزارة الثقافة المصرية للعلاقات الثقافية والخارجية – الطبعة الاولى .

10. د/ محمد عبد العال ابراهيم (1998) – البيئة والعمارة (سلسلة العمارة العربية) – دار الراتب الجامعية –لبنان

11. د/محيي الدين محمد وهبة (2011) – نظرية العمارة الداخلية – الطبعة الثانية – الناشر المؤلف .

12. ممدوح رأفت (2009) – المسكن العربى بين الأصالة والتحديث – جمعية الحفاظ على الثروة العقارية والتنمية المعمارية .

==========